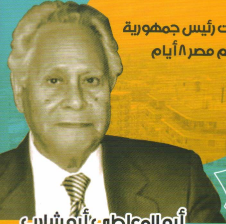
ابن العمدة

ذكريات رئيس جمهورية
حكم مصر ٨ أيام



أبو المعاطي أبو شارب

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

ابن العمدة

ذكريات رئيس جمهورية حكم مصر ٨ أيام

للكاتب الروائى: أبو المعاطى أبو شارب

٢٠٢٠ م

دار المعارف

تأسست ١٨٩٠

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة
سعيد عبده مصطفى

كتب ثقافية

تصميم الغلاف
أيمن القاضى

تم التنفيذ بمركز زايد للنشر الإلكترونى بدار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - جمهورية مصر العربية

أبو شارب، أبو المعاطى.
ابن العمدة: ذكريات رئيس جمهورية حكم مصر ٨ أيام/ لأبو المعاطى أبو شارب.
ط 1 - القاهرة: دار المعارف، 2019.
100 ص، 16.5 سم.
تدمك 978 977 02 8936 5.
1 - الحوار فى الأدب العربى.
2 - أبو شارب، أبو المعاطى - المذكرات.
3 - مصر - تاريخ - العصر الحديث - حسنى مبارك (1911 - 1971).
(أ) العنوان.
تصنيف ديوى: 810.8026
رقم الإيداع: 16681/ 2019
رقم أمر التشغيل: 1/2019/24
رقم الكونجرس: 3 - 840716 - 01 - 2

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهـــــداء

إلى مدينتى الحبيبة الإسماعيلية
التى تحمل فى وجدانى
ذكريات الطفولة والحب والشباب
إلى أمى وأبى رمز الحنان والأمل
لم يمهلنى القدر أن أراهما
إلى زوجتى وابنتى ياسمين
أصدقائى الأوفياء ورفاق رحلتى

"حكايات من الشـارع الغربى" وقعت أحداثها الحقيقية فى إيطاليا، وليس فيها شىء من الخيال مسـجلة فيديو وصوت للراحل الدكتور صوفى أبو طالب عام ٢٠٠٧م بمدينة عصر النهضة فلورنسا.

أبو المعاطى أبو شارب

مقدمة الأستاذ الدكتور حسين محمود
أستاذ الأدب المقارن

كنت أعمل فى مجلة أكتوبر، وكان الوقت ظهرا عندما صحوت من نومى وفتحت التليفزيون أشاهد العرض العسكرى بمناسبة الاحتفال بنصر أكتوبر. مضى كل شىء عاديا حتى سمعنا فجأة وبصوت ضعيف طلقات نار، ثم اختفى الإرسال. توجست مما حدث وارتديت ملابسى على عجل وقطعت المسافة من حى الهرم حيث كنت أسكن إلى كورنيش النيل حيث المجلة فى زمن قياسى. فى الطريق لم أسمع تعليقات من أحد حول ما يمكن أن يكون قد جرى فى العرض العسكرى، ولكن ما إن دخلت المجلة حتى أيقنت أن شيئا جللا قد وقع. كان مصور أكتوبر قد عاد من العرض العسكرى ملطخا بالدماء، وكان رئيس التحرير أنيس منصور على وشك الوصول، بينما تؤكد الأخبار التى جاء بها المحررون أن الرئيس السادات قد أطلقت عليه النار وأنه فى مستشفى المعادى يتلقى العلاج.

كالعادة كان علينا الانتظار حتى الساعة الثانية لكى يصدر البيان الرسمى بوفاة الرئيس. ومنذ تلك اللحظة ولثمانية أيام تالية كان المسئول عن مصر أستاذ القانون بجامعة القاهرة الدكتور صوفى أبوطالب باعتباره رئيسا لمجلس الشعب حسب نص الدستور.

فى هذا الكتاب يحكى لنا الصحفى المقيم بفلورنسا أبوالمعاطى أبو شارب بأسلوبه التلقائى الصحى والصحيح ما دار بينه وبين العالم الجليل الدكتور صوفى أبو طالب خلال فترة إقامة له امتدت شهرا فى مدينة فلورنسا الإيطالية مدعوا من جامعتها لكى يلقى سلسلة من المحاضرات حول تصحيح صورة الإسلام فى الغرب، اختتمها بمحاضرة أوردها المؤلف ملحقا بهذا الكتاب، بعد أن نسخها من المخطوطة التى تركها له صوفى أبو طالب.

وقد اختار المؤلف أن ينقل إلينا كلمات صوفى أبو طالب كما قالها، فى أسلوب متأدب مكتوب فى معظمه باللغة العامية، وهو اختيار موفق يشيع لدى القارئ إحساسا واقتناعا بصدق النقل، دون أن يثقله بلغة متحذلقة قد تبعدنا عن الأحاسيس

الحقيقية للراوى وللمروى له خلال كافة الأحداث التى نقلها الكتاب. بعض فصول هذا الكتاب تصلح أعمالا أدبية تحمل مواصفات فنية للحكاية، ولكن الفصول مجتمعة تعد رحلة مكتملة الأركان فى حياة رجل كان له دور مفصلى فى تاريخ مصر الحديثة.

ماذا لو كان صوفى أبو طالب قد انفرد بالسلطة التى وجدها فجأة بين يديه؟ هل كانت مصر سوف تمر بما مرت به طيلة فترة حكم مبارك؟ هل كان سوف يلتزم بمواد الدستور وقواعده فينهى حكمه فى المدة الدستورية المقررة؟

إذا قرأت هذا الكتاب فسوف تخرج بنتيجة مؤكدة: إن إيمان صوفى أبو طالب بالديمقراطية لا يقل عن إيمانه بالعلم سبيلا للخروج من أزمات العصر الحالى. وبعيدا عن السياسة حملت حكايات صوفى وأبو شارب فى هذا الكتاب ملامح إنسانية لا يستطيع غير أبو شارب أن يلتقطها. مثل حكايته مع الرئيس الإيطالى الأسبق ساندرو برتينى، وكيف استغل هذه الحكاية ليبنى من خلالها حكاية أخرى مع رئيس آخر، هو الرئيس المصرى المؤقت صوفى أبو طالب، وجمع

بين الرئيســين من خلال فنجان قهوة تناوله مع الرئيسين، ربما أيضا فى المكان نفسه.

كتاب آخر ممتع من مخزن ذكريات أبو المعاطى أبو شارب الذى جعله عمله الصحفى يقترب أكثر وأكثر من فن الســيرة الذاتيــة. هى لحظات مــن حياته يقدمها لنــا بلغة نعرفها ونفهمهــا، والأهم من هذا وذاك هو أننا نســتطيع أن نحس بها.

***

ذكريات العمدة وابن العمدة !

رئيس جمهورية لمدة ٨ أيام !

اتصل بي صديقي الدكتور ربيع سلامة مدير المركز الثقافي لسفارة جمهورية مصر العربية بالعاصمة الإيطالية روما يخبرني بوصول الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب ورئيس الجمهورية سابقا لأكون في استقباله بمدينة فلورنسا في زيارة رسمية للجامعات الإيطالية تستغرق شهرا لإلقاء محاضرات بجامعتها لتصحيح صورة الإسلام لدى الغرب. فأريد أن يعرف شباب اليوم الذين لم يعاصروا فترة تاريخية عصيبة مرت بها البلاد. فالدكتور صوفي أبو طالب جزء من تاريخنا المعاصر وشاهد على أحداث المنصة أثناء العرض العسكري يوم الاحتفال بذكرى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م التي راح ضحيتها الرئيس الراحل أنور السادات وكان يجلس في المنصة بصفته رئيسا لمجلس الشعب المصري في ذلك الوقت. كانت تساورني أشياء كثيرة وأنا في طريقي

للقائه، وأنا أعيد شريط الذكريات التى مضى عليها خمسة وعشرون عاما التى تحمل كثيرا من الأسرار التى لم يكشف عنها النقاب بعد. وأمام جناحه الخاص (RISIDENCE PALAZZ RICASOLI) وجدت أمامى يجلس الدكتور صوفى والسيدة حرمه فى انتظارى وحينما اقتربت منهم قام لمصافحتى هو والسيدة حرمه. شعرت من أول وهلة وأنا أصافحه والابتسامة الهادئة على وجهه الذى يحتفظ بالكثير من الأسرار حتى لحقنى بأسلوبه الجميل وقال لى أهلا بالعمدة احنا من غير عمدة بلدنا فى فلورنسا ما نعرفش نتحرك خطوة من غيرك. وضحكنا سويا على هذه الحفاوة اللطيفة. كان حظى الحلو يوم وصوله المدينة ١٦ أبريل لم تعد الجامعة برنامجها للمحاضرات فقررت أن أعد له جولة داخل المدينة واستضافه الكثير من أبناء الإسماعيلية مثل أسرة عبد التواب الحاوى وأحمد خالد وجمال سليمان بعدها توجهنا لزيارة أسرتى ومكثت معه حتى يوم ٢٠ أبريل نظرا لسفرى إلى مدينة روما حيث أقام المركز الثقافى المصرى معرض لرواية أنغام على البيانو وكتاب حكايات من الشارع

الغربـى وكنت على اتصال دائم بـه للاطمئنان عليه. بعدها عدت إلى مدينة فلورنسـا وأول ما شـاهدنى الدكتور صوفى شعر بارتياح وقال لى:

إيه الغيبـة الطويلة دى يا عمدتنا؟! بقى ده اسمه كلام! تغيب علينـا الغيبة الطويلة دى! وقضينـا وقت ممتع على وعـد بعد الانتهاء من برنامـج المحاضرات أن يدلى بحديث ليحكى لنا عن أسـرار لم يكشـف عنها النقاب بعد كشـاهد على التاريخ وشاهد على أحداث ٦ أكتوبر عام ١٩٨١م وتقلده منصب رئيس الجمهورية. يوم اغتيال الرئيس الراحل أنور السـادات فـى ٦ أكتوبر عـام ١٩٨١م حتى يـوم ١٤ أكتوبر ١٩٨١م أى أنه تولى المنصب لمدة ٨ أيام فقط انتهت باسـتفتاء على تولى محمد حسنى مبارك نائب الرئيس وقتها السلطة.

***

مشروب السادات المفضل !!!

مساء الخير يا دكتور صوفى.

أهلا بك يا عمدة اتفضل إزى ياسمين وأم ياسمين... بخير الحمد لله...

يا وافية هانم من فضلك اعملى لنا حاجة عشان نشربها أنا والعمدة.

دكتور صوفى أولادك اللى اتولدوا فى الخارج عايزين يعرفوا الأحداث اللى وقعت فى الربع قرن الأخير من تاريخ مصر كشاهد على التاريخ....

لا. لا. لا. الحكايات دى عايزة قعدة كبيرة يا عمدة... بعد اتفاقية كامب ديفيد ما تمت واتفاقية السلام هديت الكلام ده كان عام ١٩٧٨. اتفاقية السلام خلاص. سافرت إلى المعمورة ولى شقة هناك. وعلم السادات بوجودى فى الإسكندرية أول ما وصلت. بعتلى واحد من رئاسة الجمهورية وأنا لسه مخدتش نفسى من السفر وقال لى الرئيس عوزك. رحت معاه

على طول وقعدت جنب الرئيس طوال اليوم وأنا قاعد ساكت وما حطتش لقمة فى بطنى طول اليوم. والسادات قاعد فى ملك تانى ولا كلمة ولا تغير فى ملامح وجهه وباصص للبحر ويتأمله وكل شوية يجيبوا له ورد البرتقال المغلى يشربه وبدون أكل طول اليوم وساعة الغروب بدأ حديثه معايا وقال لى: انت عارف يا دكتور صوفى أنا جايبك هنا ليه النهاردة.

والله منا عارف يا ريس...عايز أعمل حزب جديد يا صوفى... قلت له: طيب يا ريس ما انت عندك حزب مصر كل اللى فيه رجالتك وعايز حزب جديد ليه؟

السادات... أنا مش حا أخلى مصر طوبة على طوبة حيبقى نظام ديمقراطى كامل ذى النظام الأمريكانى الموجودين دول اتربوا فى ظل الاتحاد الاشتراكى وهيئة التحرير ما ينفعوش يكونوا حزب ديمقراطى بديمقراطية منفتحة جديدة... وقعد يشرح ويقارن بين النظام الأمريكانى والنظام الروسى فى كيفية اتخاذ السلطة ويمدح فى النظام الأمريكانى ويشك فى النظام الشيوعى اللى يبدأ من التصفية الجسدية فى اتخاذ السلطة. أنا عايز أسيب مصر ديمقراطية وعندكم بعدى

حسنى ومش حخلى مصر طوبة على طوبة ده كان تعبيره.

طيب الحزب الجديد ده أهدافه إيه هل أهدافه ديمقراطية كاملة؟ ويبقى رئيسه مين؟ هو السادات نفسه؟ ااااااااه. عايز تبقى رئيس الحزب. عندك رجالات الحزب من أول ممدوح سـالم وانت نازل كله ينفع فى رئاسـة الحزب. قال لى: لا. الشعب المصرى لا ثقة له فى أحد بعد حرب أكتوبر ٧٣ وبعد كمب ديفيد إلا فى السـادات شخصيا وإلا تنقلب الناس على الثورة.

* * *

أسرار حل الاتحاد الاشتراكى!!!

فأنـا جبتك النهاردة عشـان تقول لى نعمل إيه يا دكتور صوفى...

قلـت له: ليا تحفظين. أنا تعبت معه مش كنت أكسـب شـجاعة من غير لغـيرى وكلنا فنيين مع سياسـيين تولينا السياسة واحنا كبار إنما هو كان يثق فى كلامى باعتبارى أنا مليش أهداف خفية غـير إلا بعديهم فبالتالى بتدينى راحة نفسية عشـان أتكلم بصراحة. قلت له: ليا تحفظين التحفظ الأول هل أنت تقبل أن تعامل على قدم المسـاواة مع رؤسـاء الأحـزاب الأخرى؟ وضربت له مثل زى الراجل أبو طربوش ده اسمـه إيه بتـاع حزب الأمة ويعاملك على قدم المسـاواة. إذا رضيت جواك نفسـيا ما تبقاش مستريح مرضيتش يبقى الهدف من إنك ترأس الحزب مش موجود عايز تشـعر الكل إن فيـه أحزاب وتجاوزات وتناوب السـلطة مش حينفع... ثانيا وهو الأهم فا الحكم تولى الحزب اللى انت فيه حترؤسه

مجبش الأغلبية البرلمانية نشــتكيك لين مفيش حد يشتكيك لهم. لينا الحزب موجود وله أعضاءه... وانت الأب الروحى لهم نقدر نشــتكيك ونشتكيهم لك وتغير... ومش واحد زى غير اللى فشــل فى الانتخابات... قــال لى: طيب ملحوظتك ليها وجاهتها. ذى مين بئا يبقى ينفع رئيس الحزب غيرى (يقصد نفسه السادات) مين؟

قلت له: عندك ممدوح ســالم وعنــدك فلان وعندك فلان. ومســك الأعضاء بدءا بممدوح سالم ونازلا كل واحد ماله وما عليه بما فيهم علاقة كل واحد منهم مع مراته... هل حد فى دول يقدر يقف فى وجه فلان. إنما واحد من المعارضة يرشح نفسه لرئاســة الجمهورية محدش. والشعب المصرى ملوش ثقة إلا فىّ أنا (يقصد نفســه الســادات) يبقــى لازم المخرج الوحيــد ده إذا كنا عوزين نعمل نظام ديمقراطى بصحيح.... الســاعة بقت السادسة مســاء قفلنا الكلام وقمنا وجيت على البيت جرى وقلت لوافية هانم يالا بينا نجهز الشنط بسرعة راجعين مصر الصبح.

(وافية هانم): إزاى إحنا لسه جايين امبارح.

الدكتـور صوفـي. حدث طـلاق بينى وبين السـادات... السـادات عايزنى أبقـى راجل مبرر لأفعاله أنـا أنفع مدبر وليس مبرر.... فاكره انت الحكاية دى يا وافية عايز يعمل حزب وهو رئيسه.

تانـى يوم الصبح التليفون عطـلان عندى فى البيت لقيته بعتلى قبل ما أسـافر واحد من رئاسة الجمهورية وقال لى: الريس عوزك حالا. فا رحت...

(السـادات): النهاردة مش حتكلم فـى حل الحزب ولا تكويـن حـزب. النهـاردة حنتكلم فى كيفيـة حل الاتحاد الاشتراكى.... كان لا يطيق حاجة اسمها الاتحاد الاشتراكى ولا الشـيوعية ويعمـل دائما مقارنة لا يطيـق الثانى المثلة فى الاتحاد السـوفيتى فى ذلك الوقـت. عايز يحل الاتحاد الاشـتراكى ويحله بالشـكل الفلانى المخرج القانونى كيت. وكيت. وكيت. فمسـك التليفون وكلم ممدوح سالم كان أيامها رئيس مجلـس الوزراء وقال له: صوفـى عندى هنا وطلبت منـه مخرج لحل الاتحاد الاشـتراكى فبيقولى كيت. وكيت. وكيت أيه رأيك يا ممدوح؟

رد ممدوح سالم وقال: موافق... قال له: طيب إذا كنت موافق يبقى تعمل فى نشرة الساعة اتنين إن فيه اجتماع للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى بعدها بثلاثة أربعة أيام على طول بسرعة علشان ييجوا... فى الوقت ده كان أيه. هو قبلها بسنة كان حاطط فى دماغه حل الاتحاد الاشتراكى. طيب الأيدلوجية حنجبها منين ده عبد الناصر اللى عمل الميثاق حيهدوا الميثاق إزاى طيب الأيدلوجية تبقى إيه فطلب السادات من كل الجهات فى مصر والمجلس الأعلى للجامعات والجامعة والمفكرين وسياسيين يعملوا تصور لأيدلوجية الحكم فيما بعد ثورة مايو٧١ علشان يطبقها وتبقى مستقبل بعد حل الاتحاد الاشتراكى أنا كنت من الناس اللى مكلف بها لعمل هذا البحث فعملت البحث بتاعى باسم الاشتراكية الديمقراطية اشتراكية ثورة مايو ٧١. طيب الاجتماع بتاع الحزب الاشتراكى... فاجئنى... فأتارى إن بيقول حلينا بقى الاتحاد الاشتراكى خلاص بالطريقة الفلانية والكتاب بتاع الدكتور صوفى عن الاشتراكية الديمقراطية هو ده برنامج الحزب الجديد ولازم كل القيادات تذاكر وتقعد

تشرحه للناس فى المجتمعات.... وربنا ما يوريك إيه اللى جرالى من الحزب القائم فى ذلك الحين ولغاية الآن كل ما هو مكتوب فى برنامج الحزب الوطنى أنا اللى عمله...شوف بقى يشاء ربك يحدث فى انتخابات ٢٠٠٠ للحزب الوطنى أخذ ٣٠٪ رئيس الحزب الوطنى مين حسنى مبارك. طيب تحلها أزاى أعمل إيه أنا فى حزب حسنى مبارك رئيس الجمهورية رئيس الحزب حلها إزاى نعمل أيه... طلعوا شلة التحشيشة أنا بسميهم تحشيشة أن بعض المستقلين ضموهم علشان يخدوا الأغلبية وتكررت المأساة فى انتخابات ٢٠٠٥ وسموها وطنى مستقل علشان يخدوا الأغلبية فأنا اللى توقعته فى ١٩٧٨ حدث بعد كده فى انتخابات ٢٠٠٠/ ٢٠٠٥... وافية هانم: انت عندك رؤية كويسة دايما يا صوفى... من غير قطع كلامكم يالا يا صوفى قوم علشان تصلى المغرب وأنا قعده مع العمدة ....

الدكتور صوفى: حاضر. حاضر. حاضر.

***

خريف الغضب وأحداث سبتمبر !!!

أحداث سـبتمبر كانت مثيرة للغاية ومحدش كان عارف إيــه الحكاية. حضرت الاجتماع الطارئ للجنة التأسيسية وكانت موجــودة معنا الدكتورة آمال عثمان وزيرة الشـئون الاجتماعية وهى عضو فى المكتب السياسى للشئون السياسية. واحنــا بنتكلم لقيت آمال بعتالى ورقــة مكتوب فيها ما بين المعتقلين أســاتذة الجامعة فلان وفلان فأنا رحت فيما يتعلق بــى ... يعنى مفيــش داعى أقول أسماء وأتكلـم عنها. فيه مجموعــة معينــة تم اعتقالها لا محل لــه ولا فائدة منه... رجال القضاء ورجال الجامعة وحاجات سياسية قديمة فكان رده عليــه الأمر مختلف... لما نروح عند الريس نقول الكلام ده ... رحنــا عند الريس ســاعة ونصف وهمــا قاعدين وأنا بتكلم لأنى حاســس أنــه بيثق فى وليــس لى أهداف معينة فرد علىَّ الســادات وقال: مش قصــدك يا دكتور صوفى فلان فى اليوم الفلانى فى المكان الفلانى فى نقابة الصحفيين عمل

محاضـرة وقال فيها كيت وكيت وكيت فلان عمل اجتماع فى نادى القضاة وقال كيت وكيت وكيت. وماسـك فى إيده ورقة بيقرا منها قلت لـه لو كل دول كيت وكيت دول عددهم كام ٢٠٠/٣٠٠ ولا يقصـروا ولا حاجة. مذبحة القضاة حنرجعها تانى لا القضاة ولا رؤسـاء الجامعات لا مفيش الطوائف. ... رد علـيَّ الريس وقال: كل الكلام ده كلام وقتى واسـتحملوا لغاية أبريل لما آخد أرضى كلها. للأسف الشديد كل واحد صفى حساباته مع خصومه وكتروا العدد. السادات قال لى بالحرف الواحد: كل الكلام ده وقتى مش عايز أنتظر أبريل...الأمور تمر بسلاسـة وبهدوء ولا أعطى فرصة لإسرائيل أنها تتلكك بحاجة وتعـود وترجع في كلامها. ده كان الهدف الحقيقى بتاع السادات استحملوا لغاية أبريل وخلص الحل.

دكتور صوفى هل أخطر المعتقلين السياسيين بذلك؟

اتبلغ كذا مـرة لجميع المعتقلين أن اعتقالهم وقتى لحين الانتهاء وانسـحاب إسـرائيل ـ تأكيدا لهذا الكلام أنا كنت على علاقة بإبراهيم شـكرى ونادى عليـه عن طريق حلمى مـراد أنـا اتكلمت مـع الريس فـى النقطة دى فـرد عليها

الريس وقال سيب الناس (تهوبص) فى الكلام وتشتمنى وتشتم عائلتى وتجرحنى أنا ما يهمنيش حاجة غير أنى أعيد أرضى كلها وكل ده فى ٢٥ ابريل ٨٢ حينتهى ويفرج عنهم جميعا. مكنش حد مصدق كلامه ذى أيام عام الحسم وعام الضباب سنة سبعين بعد موت عبد الناصر وخطابته عن المعركة ومحدش كان مصدقه إنه كان حيحارب وحارب فى ٧٣ وانتصر. وشهادة للتاريخ هذا الزعيم كانت له رؤية بعيدة الأمد لمستقبل مصر والعرب ومحدش فهم إيه اللى كان بيدور فى دماغ السادات ومناوراته التى خدع بها الرأى العام العالمى من أجل الحفاظ على أبنائه من الجنود وعلى شعب مصر وإعادة جميع الأراضى المحتلة منذ عام ٦٧ لو كانوا سمعوا كلامه السادات.

للأسف الشديد بعد أن خذله العرب ووقفوا ضده وأصبح لوحده يدافع عن القضية وللأسف الشديد بعد مرور ربع قرن من الزمن العرب بيندموا على اللى فات وزى ما احنا شايفين أيه اللى بيحصل فى المنطقة نتيجة التمزق اللى أصبحنا فيه بعد كده الوقت جرى ودخلنا على احتفالات ٦ أكتوبر ٨١

وحصل اللى حصل بعد كده استلم حسنى مبارك الحكم وأفرج عنهم جميعا... بدأت الضغوط الإسرائيلية تشتغل لإفشال بنود الاتفاقية واحنا قعدنا فيها يومين ندرسها. تيار يقول نلغى اتفاقية كامب ديفيد وتيار تانى يقول ماندهمش حاجة وتيار تالت أنا كنت منهم قلت لهم عندنا ثلاثة حاجات فى بنود اتفاقية المعاهدة إذا حدث خلاف فى أى شىء معين... إدارة التحكيم. أو المساعى الحميدة. أو بالقضاة. بنبدأ بيهم مفيش وساطة علشان نأخذ أرضنا أنا شخصيا ومازلت بحس العلاقة بيننا وبين إسرائيل أيا كان بنعمل فيها هدنة طويلة الأمد كان عندى هذا الإحساس مخططها الأصلى أنها تبلع فلسطين فعلا هو ده التقدير أن إسرائيل مخططها الأصلى تبلع فلسطين وأن تستفرد بالعرب واحد واحد لو كان العرب وقفوا مع السادات يد واحده زى ما حصل فى حرب ٧٣ كان الوضع اتغير إنما عملوا جبهة الرفض ضد مصر وقطعوا العلاقات ونقلوا جامعة الدول العربية. ووجهوا أعلامهم بالشتيمة والتجريح لليل نهار فى مصر وفى السادات واتهموه بالخيانة العظمى رغم ذلك كان مستمر فى رسالته

من أجل تحرير جميع الأراضي العربية المحتلة من خلال عملية السلام .... (مناحم بيجين) قالها بصراحة للسادات: انت جاي بتتكلم باسم العرب ليه وهما ضدك اتكلم عن مصر... لو كان العرب سمعوا كلام السادات أيامها كانت إسرائيل عملت حساب كبير لينا وأمريكا مكنتش وخدنا كده ملازمة الأمر...

هل فيه أمل في حل القضية الفلسطينية؟

أيام السادات كان فيه أمل كبير في قيام والاعتراف بدولة فلسطين منذ ٢٥ عاما... دلوقت شايف الدنيا مظلمة جدا الراجل ده مش عارف عايز إيه طالما الضعف اللي فيه العرب الآن والبرطعة اللي شغالة فيها إسرائيل وأمريكا وقدروا يخدوا الرأى العام العالمي معاهم. كان زمان الرأى العام العالمي معنا ويرجع الفضل للزعيم الراحل السادات دلوقت مش معنا. ضدنا...وبالمناسبة افتكرت ياسر عرفات جاء زيارة لمصر وطلب زيارة النصب التذكاري لزيارة قبر الرئيس الراحل السادات ووقف أمام قبر السادات وكان في غاية الندم والحزن وقال بالحرف الواحد لو رجعت بي الأيام لأضرب

نفســى بالجزمة أمامك يا سادات عشــان مسمعتش كلامك.
الحل إيه يا دكتور صوفي؟ مش عارف.

***

حادث المنصة ٦ أكتوبر ١٩٨١م.

بعـد كده الوقت جرى ودخلنـا على احتفالات ٦ أكتوبر ٨١ ورحنا المنصة فى مدينة ناصر وفى المقصورة قاعد الرئيس السادات وعلى يمينه حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية وولى عهد سلطنة عمان وعبد القادر حاتم وأنا ورئيس الوزراء وبالترتيـب والضيوف من الملحقين العسـكريين من سـفارة العالم وبدأ العرض العسـكرى وشـاف العرض ماشى كويس وطائرات فى الجو وألوان اشى أحمر واشى أصفر واشى أبيض فى السـماء من استعراضات الطيران ومظلات فى السماء وفى آخـر عربية سمعت طلق نارى من بندقيـة من العربية (دن دن) لقيت السـادات وقف على رجليه وقال مش معقول بوم بوم شـدنى من ايدى عبدالقادر حاتم بقـوة وقعدت نايم فى الأرض ... وآه اللـى حصـل أتارى العربية اللـى كان فيها الولـد اللى كان فى العربية نزل فى اتجاه المنصة والسـادات واقف علـى رجليه مش معقول مش معقول والولد اللى معاه القنبلة فدور نفسـه فى الشـمس فجعل السـادات من نفسه

هدفا محددا لهذا الولد أدور فى عين الشمس وجعل السادات هدفا محددا ومكنش حد يقدر يوقفه غير واحد فراش اللى كان حارس المنصة الولد لما ضرب أول طلقة من العربية نزل ومعه البندقية وضرب طلقة فى كتف السادات وجرى ومفيش وراح ضارب الفراش وأخذ منه الكرسى اللى كان قاعد عليه ووقف عليه وضرب السادات. أنا بروى دلوقت رؤية عن أبو غزالة. أبو غزالة وقف وشوح بإيده بالنظارة وقال له ابعد يا واد ابعد. رد عليه الولد وقال لأبو غزالة ابعد أنت وإلا أخليك زيه. وحصلت فوضى وزيطة والدم فى كل حتة... قعدت أدور على السواق ومعايا ضابط فواحد من المواطنين عايز يتطوع ويوصلنى فرد عليه الضابط وقال له لا مش عوزين حاجة. فرد عليه وقال: أنا خايف عليه أكتر منك ده الدكتور صوفى بلدياتى... بعد كده السادات نقلوه إلى المستشفى وطبيا من المنصة يعتبر منتهى. بعد كده أولا حرصت أن الخبر ما يذعش من عندنا وانقتل فى وسط أولاده فى نفس الوقت كان جماعة أسيوط الإرهابية احتلوا مديرية الأمن ويموت العساكر فى أسيوط. واجتمعت كل القيادات

السياسية والهيئة السياسـية بحضور النائب حسنى مبارك فطلبت عـدة أمور لا بد من اتخاذهـا أول حاجة وزير بتاع إسكندرية طلب إن احنـا نعلن حالة الطـوارئ فى البلاد. بحيث بيجى بيان بوفاة السـادات من بيان يلقى أمام الرأى العام وانتقال السـلطة بأسلوب ديمقراطى لحين الانتخابات السـاعة اتنين بلغونى السـادات توفى. رحنا المجلس كل القيـادات موجودة فأخذت مبـارك كان نائب وقتها وقال لى انت راجـل بتاع قانون عارف الإجـراءات التى تتخذ أعلن حالة الطوارئ وبيان رسمى بوفاة السـادات وأسـباب الوفاة وانتقال السلطة مؤقتا والوزارة تعتبر مستقيلة بحكم القانون فى نفس الوقت ده أى إنسـان يأخذ عسكرى ببندقية ويحتل الإذاعة ويعلن بيان. حرصـا على تفكيك الجبهة الداخلية، السـلطة تنتقل بهدوء وبسلاسة طبقا للدسـتور اللى بيقول الكلام ده مـين رئيس الجمهورية اللى هـو أنا والترتيبات اتخذت تانى يوم اجتماع فى مجلس الشعب وبعدين بالقصر الجمهورى والـوزارة حلفت اليمين أمامى وحسـنى مبارك حلـف اليمين أمامى... فأنا كنت حريص أبو غزالة والنبوى

إسماعيل يكونوا معايا لغاية ما جت الساعة اتنين وعدت لمجلس الشعب بتشكيل الوزارة من جديد وحدث جدل فى الجنازة وانتهينا تكون شعبية رسمية ورسمية بتكون العدد كبير بعد كده يقولوا شوفوا جنازة السادات من جنازة عبد الناصر؟ وأعلنت بوفاة السادات ألا بعد ترشيح رئيس الجمهورية دخلنا اجتماعنا ورشحنا حسنى مبارك بأنه نائب رئيس الجمهورية ل ٦ سنوات وله خبرة فى ذلك السبب الثانى السادات الله يرحمه دايما يقول لو حدث لى شىء عندكم حسنى مبارك من بعدى فكان لازم أقول أنا البيان حرصا على الجبهة الداخلية السلطة تنتقل بسلاسة طبقا للدستور اللى بيقول الكلام ده رئيس الجمهورية ويومها أعلن حسنى مبارك أنه لن يجدد فترة رئاسته غير مرة واحدة. كنت أخشى ما أخشاه أن تحدث حرب أهلية لأن كان فيه التيار الإسلامى وعمليات القتل اللى حصلت فى أسيوط.

الحاجة الثانية كانت تيجى من جانب إسرائيل قد تغير رأيها فى كامب ديفيد وحكاية الحدود بتاعة طابا والعرب

كانوا مراهنين. إسرائيل مش حتنفذ كلامها؟ هو السادات نفسه اداهم فرصة عشان يخلصوا منه لأن عندى شك كبير حول من قتل السادات سوى الأمريكان أو إسرائيل تخلصوا منه كل يوم والتانى فى فلسطين وعمل الجامعة الشعبية السادات كان سابق عصره وكان عنده رؤية لربع قرن من الزمن طويل البال بطريقة مش معقولة كان ديما يعمل اجتماع السياسى للحزب اللى بيعمله كل سنة إنما المكتب السياسى من ٨ /٨ أفراد ما كنش يعرض حاجة اللى بعد دراسة وصل فيها إلى قرار وبعرض القضية ويطلع البايب ولا يستطيع أحد يعرف ما فى دماغه رأسه لا يعبر عن شىء، وجهه لا يعبر عن شىء فى المنصة لا حراسة ولا أمن وحصل اللى حصل بعد كده استلم حسنى مبارك الحكم وأفرج عنهم جميعا اللى انقبض عليهم فى أحداث خريف سبتمبر...

***

حكايـة قريـة الجندول التى تسـببت فـى إقالة محافظ الغردقة !!!

صباح الخير يا دكتور صوفى.

صباح الخير يا عمدتنا اتفضل.

يا دكتور صوفى أنا يشـرفنى أكون صاحـب ابن العمدة. هتحكى لينا حاجة حلوه النهاردة يا دكتور.

لا المرة دى حا أحكى لك واقعة حصلت فى الغردقة كنت فى زيـارة للغردقة عام ١٩٧٩ وحكـى لى المحافظ الجديد قصة أغرب من الخيال فى عهد المحافظ السـابق اللى تمت إقالته من منصبه فى ذلك الوقت لا تسـعفنى الذاكرة باسمه المهـم طبعا سمعت عن قصـة المرحوم سـاويرس. لما قامت الثورة صادرت جميع ممتلكاتهم وفى عهد الرئيس الراحل السـادات رفع الحراسـة عن ممتلكاتهم وأعادها إلى أسرته وله أربعة من أبنائه والأولاد دول شـاطرين وناصحين وهم أصلهـم تجار المهـم راح واحد منهم للغردقة عشـان يعمل

مشروع سياحى ويقابل المحافظ للحصول على ألفين فدان فيظهر المحافظ ما عجبهوش كلامه ومدخلش مزاجه وعلشان يطفشه من المنطقة قال له: كل الأرض اللى عندى فى الغردقة اتباعت ومفيش غير فى أطراف المدينة وتبعد حوالى ٣٠ كيلومتر وهديك اللى انت عوزه بسعر ثلاثة دولار للفدان فكان من المحافظ بهذا العرض يكسر مجاديفه ويرفض الصفقة فى منطقة معزولة وأرض ميتة وبدون مياه عذبة فما كان من ساويرس أن يتصنع بالغضب لأنها ستحتاج لمصاريف باهظة ويفشل مشروعه. وشعر المحافظ بأنه ضرب ضربته فى موجع وسيتراجع فى الشراء وبعد مناورات فى السعر وافق ساويرس بشراء ألفين فدان لزراعتها وبناء قرية سياحية بسعر ٣ دولار فى الفدان ودفع المبلغ ٦٠٠٠ دولار فظن المحافظ بأنه ربح صفقة العمر وسيفشلون فى مشاريعهم. واستمر ساويرس بنقل المياه العذبة من الغردقة التى أهلكته ماليا لرى الأرض الزراعية واستعمال المياه فى البناء واستهلاك وقود للسيارات اللى بتنقل الميه وفى يوم من الأيام شاهد ساويرس أحد البدو يروى قطعة أرض

فى المنطقة الجبلية القريبة منه فسأله من أين تأتى بالمياه العذبة فقال له الأعرابى: لدى بئر أعيش عليه. واتفق مع الأعرابى بشراء ما يلزمه من المياه حتى ينتهى من البناء والزراعة. فجلس يفكر ساويرس إذا كان هذا الأعرابى لديه بئر من المياه العذبة فلماذا لم أفكر وأجرب حظى بالتنقيب عنها فى منطقتى لكى توفر على الكثير.. وبدأت الفكرة فى التنفيذ وقام بشراء معدات الحفر والتنقيب عن المياه العذبة فى أرضه فكانت المفاجأة غير المتوقعة تتفجر ينابيع المياه العذبة فى أراضيه بكميات هائلة وفكر فى استغلال ينابيع المياه الوفيرة وإنشاء مصنع للمياه المعدنية لتغطية جميع المناطق السياحية المجاورة وتوريدها لهم فى عبوات بلاستيك وجنى منها أرباحا طائلة وأصبح هو الوحيد المسيطر فى كل المنطقة لتوريدها لهم فكانت نية المحافظ السابق سيئة ليفشل فى مشروعه وتضيع كل أمواله فى مشروع فاشل ولكن ربنا سبحانه وتعالى له حكمة فى ذلك يعز من يشاء ويذل من يشاء فهو على كل شىء قدير. وأصبحت قرية الجندول السياحية جنة من جنات رضوان

مثل مدينة فينســيا الإيطالية. ويلله بينــا يا عمده وصلنى عشان عندى محاضرة بكره ولازم أحضرها وأنام بدرى.

***

أكلت ملوخية فى باريس !!!

مساء الخير يا دكتور صوفى

أهـلا أهـلا بعمدتنا اتفضل. يـا وافية هـانم اعملى لينا فنجانين سـحلب أنا والعمدة من فضلك. احنا كنا بنتكلم فى إيـه امبارح يـا عمدة... آه آه... افتكـرت البيت اللى احنا وخدينـه ضواحى مدينة باريـس كان المكان ده مجلس قيادة الحرب أيام الحرب العالمية الثانية فى ضاحية جميلة وتمتاز بالهدوء والطبيعة الخلابة وجايبين معنا ما يلزمنا من الزوادة بتاعت بلدنا. ملوخية ناشـفة وبامية وكشـك وفريك وكل ما يخطر على بالك من الأكلات المصرية والمشروبات والبهارات تكفينا لمدة البعثة. وفى يوم من الأيام سـاعة العصرية رحت قاعد تحت شـجرة زى اللى عندنا فى الفيوم أنا ووافية هانم وابنتى إبتسـام وفلاح مزاجه سـاعات تضرب دماغه أحيانا وعايز أشـرب شاى على نار الحطب زى ما بنعمل عندنا فى الغيط ومفيش براد زى البراد الأسـود بتاع بلادنا أعمل فيه شوية شاى فجبنا حلة من البيت ولعنا الحطب وحطينا فى

الحلة شوية مية وحطناها على النار تغلى الشاى وشربت الشاى وأنا تحت الشجرة جت تانى يوم الست اللى بتنضف البيت ودخلت علينا وهى بترطون بالفرنسية بطريقة عصبية وعايزة تعرف الهباب الأسود اللى على الحلة ومش عارفة تنظفها. فقلت لها اللى حصل وكان نفسى أشرب شوية شاى زى ما بنعمله عندنا فى البلد وخليها يا ست زى ما هيه نعمل فيها الشاى بعد كده وما تزعليش حصل خير. وفى اليوم التالى كنا عازمين أصدقائى وزملائى اللى معايا فى البعثة. كان معنا المرحوم عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق والمرحوم كامل ليلة والمرحوم رفعت المحجوب والدكتور فتحى سرور رئيس مجلس الشعب الحالى والدكتورة عائشة راتب... وسبت وافية هانم تجهز الأكل ورحت قاعد تحت شجرة فى انتظارهم. ومعايا الحلة الموعودة بالشاى أضيع بها وقت لغاية لما يوصلوا الضيوف وكانوا مسمينى العمدة هناك زيك كده عمدة فلورنسا وبعد شوية لقيتهم وصلوا وقعدوا معايا تحت الشجرة يستريحوا من المشوار لغاية لما جهز لنا الأكل. ورائحة الملوخية بطشة الثوم والخل الجميلة عشان

الفتة والفراخ المشوية اللى قلبك يحبها قلبت البيت وقعدنا ناكل بشراهة كأننا مكالناش فى حياتنا فلقيت الدكتورة عائشة راتب ميلت على وافية هانم وبتقولها تسلم إيدك يا وافية هانم انتم محظوظين فى البيت ده احنا من ساعة ما دخلنا القرية بان عليها الخير كله من الفراخ والبط والرومى والخرفان والفواكه منتشرين فى كل حتة.. قولى لنا الصراحة يا وافية هانم. الفراخ اللى احنا بناكلها دى انتم شرينها بصحيح ولا سرقينها من الجيران اللى جنبكم. وانقلبت القعدة بالضحك وكان يوم ما يعلم به إلا ربنا.

إيه رأيك يا عمدة نتعشى سوا وافية هانم عامله طبق كشك تاكل صوابعك وراهم.

أرجوك يا دكتور صوفى اعفينى من الأكلات الحلوة دى وتصبح على خير.

انت حر يا سيدى اكل الكشك أنا ووافية هانم ولا تزعل نفسك كده أنا فى انتظارك بكره إن شاء الله يا عمدة ما تتأخرش علىَّ والنبى يا عمدة وتجيب معاك لنا العيش الحلو بتاع كل مرة والجبنة الطليانى.

مغامرات الدكتور صوفى فى باريس !!!

أثناء البعثة فى جامعة السوربون سنة ١٩٥١ كان عمرى وقتها ٢٦ سنة مبعوث من قبل جامعة الملك فؤاد الأول. بدأت البحث عن سكن ضواحى مدينة باريس بأسعار متهاودة حتى أستطيع مواجهة الحياة والدراسة والوحيد اللى كان فى البعثة كان متزوج ومعه طفلته المهم لقينا بيت ريفى ضواحى باريس بمساحة كبيرة به حديقة جميلة وقريب من باريس. وفى يوم من الأيام بتمشى وبرفقتى زوجتى وابنتى فى الحدائق المنتشرة فى كل مكان بالقرية من جميع أصناف الفواكه وعين الجمل والبندق والتفاح فأخذت أتسلق الأشجار شقاوة شباب وأنا أغنى يا طالع الشجرة هاتلى معاك بقرة تحلب وتدينى وأنا أهزها بعنف حتى تتساقط الفواكه واقتطفت منها كميات كبيرة ما يكفينا لزوم الاحتياط. وفى صباح اليوم الثانى فوجئت من يطرق علينا الباب وتفتح الباب وسألوا على فخرجت لهم ووجدت أمامى جارى

الفرنسى ومعه فتاة تحمل سبت كبير ممتلئ بالفواكه فأنا فكرت فى بادئ الأمر ربما تكون بمناسبة عيد فى القرية اللى احنا عيشين فيها وبيوزعوا على الجيران فاكهة بهذه المناسبة زى ما بيحصل عندنا فى المناسبات والأعياد وعشان أتأكد منه أعرف مواعيد المناسبات اللى بيوزعوا فيها الفواكه وأسجلها مواعيدها فى دفتر حتى لا تضيع علينا فرصة ثمينة من الفواكه التى تسيل اللعاب فسألت جارى الفرنسى بمناسبة عيد إيه يا مسيو. فكان رده صاعق لى، وقال لا يوجد أى مناسبة ولا أعياد فى القرية يا مسيو صوفى إنما رأيتك أمس تتسلق أشجار الفواكه وأنت تهز أفرع الأشجار وتحطم فروعها بعنف وعصبية لكى تتساقط لك ثمار الفاكهة بكميات كبيرة وزوجتك وابنتك الصغيرة يجمعون ثمار الفواكه فشعرنا بأسى وحزن لظروفك المالية التى لا تسمح بشراء لك ولأسرتك الصغيرة فها هى مساهمة صغيرة منا حتى ندبر أمورنا من أهل القرية لك ولأسرتك حتى تستطيع مواجهة الحياة فيما بعد ونتدبر أمرك فى المستقبل. واعتذر الدكتور صوفى من جراء هذا الموقف المحرج ولن يكررها

فى المستقبل مرة أخرى ولا يقصد إيذاء الأشجار وتحطيم أفرعها من أجل الفواكه وإيذاء مشاعر الجيران فى القرية إنما كانت شقاوة شباب وفى النهاية اعتذر وشكره على هذه اللفتة الكريمة والإنسانية وأغلق الباب الدكتور صوفى وهو يحمل بين يديه سبت الفواكه وهو يغنى يا حبيبى تعالى شوف اللى جرالى مين أدك.

***

جامعة السوربون تبحث عن الطالب المجهول !!!

مساء الخير يا دكتور صوفى

يا أهلا وسـهلا يا عمدتنا اتفضل.... إيــه ده كله إيه ده كله يا عمدة ده كتير قوى.... يا وافية هانم العمدة جيب لنا العيـش اللى أنا بحبه والجبنة الطليانى اللى انت بتحبيها. مـن فضلـك يـا وافية هـانم اعملى لنا شـوية شـاى بإيدك الحلوة.... مالوش لازمة يا دكتور أنا جاى أقعد شوية معاك عشـان تحكى ليه حكاياتك الجميلـة أيام الزمن الجميل فى باريس... آآآآه باريس باريـس لها حكايات وروايات كتير فى حياتى، واحنا على مشـارف امتحان الدبلوم فى القانون بجامعـة السـوربون بباريس شـعرت بألم شـديد ونقلونى إلى المستشـفى لإجراء عملية الزائـدة.. وكان الطب فى ذلك الوقت بعد الحرب العالمية الثانية لم يتقدم ذى اليومين دول ومكثت بها شـهر كامل وأثناء وجودى فى المستشـفى كانت زوجتى وافية هانم تروح كل يوم الجامعة وتنقل المحاضرات

من زملائى فى البعثة وتجبها لى فى المستشفى أذاكرها.. المهم خرجت من المستشفى وكان ثانى يوم الامتحان فا رحت الامتحان وكان فيه خمس مواد أمتحن فيهم وأخرج من اللجنة دى وأخش اللجنة دى وشعرت بارتياح بأنى أديت الامتحان فى الخمس مواد وانتظرت ظهور النتيجة مع زملائى فى البعثة وقعدنا فى الكافتيريا على أعصابنا ومفيش نتيجة ظهرت لغاية دلوقت. وقالوا النتيجة لم تظهر عشان ناقص طالب لم يؤد الامتحان فى مادة من المواد واللجنة فى انتظاره لتأديتها. وقعدنا نسب ونشتم ونلعن هذا الطالب اللى متأخر وأخر نتيجة الامتحان بسببه وأنا أسب هذا الطالب معاهم فا رحت أستفسر إيه الحكاية قالوا واحد ما امتحنش لغاية دلوقت ووقفين النتيجة لغاية لما يمتحن ومين هو الطالب اللى هيودينا كلنا فى ستين داهية بسببه. فسألت المشرف على اللجان مين هو... قال لى اسمه صوفى حسن أبو طالب. يانهار أبيض. ده أنا فاكر إنى أديت الامتحان فى الخمس مواد ورحت جرى على اللجنة واعتذرت للبروفسور عن التأخير ورد عليا بأدب إنه بيعذرنى عشان أنا أجنبى ومعرفش

اللوائح والقوانين. وقعدت معاه فكان استقباله ليا ورده عليا بهذا الأسـلوب نزع من قلبى الخوف وأعطانى الأمان والثقة فى نفسـى وأخذت ورقة الأسـئلة فكانت بالنسبة ليا سهلة جدا جدا وكانت مشـابهة فى مـادة ثانية أنا امتحنتها قبل كده. رهبة الامتحان غطت عليه وأديت الامتحان على خير. ومحـدش كان مصدق انى أنجح وكان الجميـع متراهن عليا ومتوقع برسوبى فى الامتحان. وظهرت النتيجة وجه نأبهم على شـونة وطلعـت الأول على الدفعة! إيـه رأيك يا عمدة عوزين نروح ناكل بيتزا بشـرط أنا اللى عازمك النهاردة.... ماشى كلامك يا دكتور صوفى؟

***

الجمل والجمال !!!

صباح الخير يا دكتور صوفى

أهلا بك يا عمدة اتفضل تشرب سحلب ولا شاى.

ولا حاجة يا دكتور أنا جاى أقعد شوية معاك بعدها نخرج نتمشى سوا فى وسط البلد.

طيب يا سيدى ما تستعجلش على رزقك كده... والنبى يا وافية هانم اعملى لينا فنجانين سحلب بالمكسرات. ما بلاش تسجيل النهاردة يا عمدة ونخلى النهاردة أجازة رسمية ونخرج نتمشى نتفرج على البلد شوية والشمس حلوة النهاردة... زى ما تحب يا دكتور. الدكتور صوفى: اوعى تكون زعلت يا عمدة، على كل حال ندردش شوية لغاية لما وافية هانم تكون جاهزة للخروج معنا. لما كان عندى عشر سنين تحملت المسئولية فقد أوكل لى والدى رحمه الله أن أذهب لوزن أحمال القطن التى كانت تحملها الجمال وأرسل معى واحد من الفلاحين لمرافقتى فى الرحلة لحصر عدد الجمال

التـى كانت تحمل أكياس القطن من الغيط لوزنها عند القبان وأنا معرفش أى حاجة فى هذه السن وطلبت من والدى قطعة ورقة ويكتب فيها عنوان الراجل القبان عشان أعرف السكة. قال لى والدى معاك عثمان والحمار. وفى الطريق سألت عثمان وأنا راكب الحمـار وقلت له تعرف الطريق اللى يودينا عند القبـان يا عثمـان فرد علىَّ أنا ما معرفـش حاجة يا صوفى. فقلت له والعمـل نعمل إيه يا عثمان. فضحك عثمان وقال لى اطمئن يا صوفى الحمار اللى انت ركبه عارف السـكة كويس أحسن منا. وفكرت أنه بيضحك عليه وفعلا تأكيدا لكلامه لما وصلنا القرية التى بها القبـان وقف الحمار مرة واحدة أمام بيت القبان... مش مصدق نفسى لذكاء الحمار ونزلت ودخلت الدار وجلست بجوار القبان طول اليوم أعد فى أحمال الجمال ووزنها وشعرت بالجوع الشديد.. وكان الراجل القبان راجل بخيل جدا جدا لم يعطف علىَّ حتى بقطعة من الخبز البلدى وبقـى آخر حمل من القطن لتكملة حصيلة ٥٠ قنطار فقررت العودة ساعة الغروب، وفى منتصف الطريق قابلنا آخر جمل يحمل القطن وكسـلت أرجع أوزنــه. ولما وصلنا الغيط قابلنى

والـدى وقال لى انت رجعت ليه من عند القبان يا صوفى قلت له أنا جعـت ومن صباحة ربنا ماكلتـش حاجة وبقى جمل واحد فقـررت العودة وأنا عارف كم عدد رحلتها من أحمال القطن وآخر جمـل مقابلنى فى منتصف الطريق وأهو الجمل عارف السـكة لوحده زى الحمـار... فأمرنى والدى رحمه الله بالعودة مرة أخرى لأتعلم كيف أتحمل المسـئولية لأكون أمام القبان أثناء الوزن وأثناء عودتى جرى ورائى عمى وكان يقاربنى فى العمر ووضع فى جيب الجلابية قطعة من الخبز وشويت كشك ناشف قعدت أقرقش فيهم فى الطريق لغاية ما رجعت للقبان عشان أتأكد من وصول آخر حمل قطن وانتهى اليـوم على خير ورجعـت راكب على الحمـار وأنا نايم من شـدة التعب والجوع طول اليوم ذى نابليون بونابرت لما كان يتعـب ينام وهو راكـب على حصانه ومـن يوميها اتعلمت كيف أتحمل المسـئولية وأنا عندى عشر سنوات.. ويلله بينا يا عمدة تفرجنا على فلورنسا...

***

فنجان قهوة مع الرئيس !!!

صباح الخير يا دكتور صوفى

أهلا بك يا عمدتنا.

أنا جايب كاميرة فيديو حديثة والتسجيل عشان نكمل حكاياتك الجميلة.

اقعد بس يا عمدة النهاردة أنا مش مركز عشان محاضرة بكره انت اللى تحكى لنا حكاية من حكاياتك فى فلورنسا وبعدها نخرج سوا نتمشى فى البلد ونرجع عشان أحضر لمحاضرة بكره. يا وافية هانم اعملنا حاجة نشربها أنا والعمدة من فضلك. أتفضل يا عمدة.

آه أفتكر يا دكتور أحكى لك حكاية جميلة حصلت ليه فى صيف عام ١٩٨١ كان يحلو لى يوم الإجازة أن أترك السيارة لصعوبة تجولها يومى السبت والأحد من كل أسبوع داخل وسط المدينة من أجل المحافظة على البيئة من التلوث وتشجيع المواطنين بركوب الأتوبيس الداخلى الذى يطوف

وسط المدينة لزيارة المعالم السياحية. ووقفت فى المحطة أنتظر الأتوبيس أنا وزوجتى.. كان كل شىء طبيعى على المحطة ولم أتنبه لأى شىء حولى حتى ركبنا الأتوبيس. فوجدت رجل مسن فى عمر والدى وأفسحت له الطريق حتى يجلس ورفض الجلوس وهو يشير بيديه على لوحة صغيرة مكتوب عليها هذا المكان مخصص للمعوقين ومصابى الحرب والمسنين برغم عمره الذى تخطى الثمانين عاما بعدها اندفع نحو ماكينة ختم التذاكر التى فى يديه هو وزوجته وأمسك بيديه أحد الأعمدة داخل الأتوبيس وجدت زوجتى تضغط بأصابعها بنغز فى جسدى لتنبهنى. والتفت إليها ربما سقط منى شيئا. وقالت لى وهى تهمس بصوت خافت. هل تعرف من هذا الرجل المسن الذى أمامك وعرضت عليه الجلوس. قلت لها من هو. قالت والفرحة فى عينيها إنه الرئيس (ساندرو برتينى) رئيس الجمهورية الإيطالية ومعه زوجته. لم أصدق نفسى ولم أتوقع هذه المفاجئة وركوب رئيس الجمهورية معنا الأتوبيس. بدأت أنظر فى ملامح وجهه وعناء السنين التى رسمت على وجهه تجاعيد الزمن ونظارته الطبية على

عينيه التى تحمل ذكريات تاريخية فى كفاحه لإسقاط النظام الفاشى أثناء الحرب العالمية الثانيــة فوجدته هو وزوجته يقتربان من الباب ويضغط على زر لتنبيه السـائق استعدادا للنزول لمحطة ميدان سـان ماركو فصممت أن أتبعه لأراقب أعظم شخصية فى تاريخ الثورة الإيطالية وماذا يقضى يومه كمواطن عادى بين المواطنين بعيدا عن الرسميات يتجول فى شـوارع المدينة مثله كأى مواطن عادى بدون حراسـة ودخل أحـد الحانـات ليتناول القهــوة هو وزوجتــه ونحن وراءه واقــترب من الخزنة وأخرج بعض القطع المعدنية ليدفع ثمن قدحـين من القهــوة. لم يتنبه أحد بوجـود الرئيس ووقفت بجواره وشـربت أحلى فنجان قهوة فـى حياتى وأنا بجوار الرئيس ساندرو برتينى بعدها شعر بأننا نتبعه منذ صعوده الأتوبيـس ولكى ينزع حاجز الرهبـة بيننا والاقتراب منه لمصافحته وضع يديه فوق رأس زوجتى وهو يودعنا بابتسامة تحوى كثير من معانى الحب وأشعل دخان البايب الذى بين يديـه.. بعدها خرج يتجول بخطـوات هادئة حتى انقلبت الدنيا مـن حوله بعد أن عرفه بعـض المواطنين وهو يحييه

بصـوت عالى يعيش سـندور برتينى فى ميدان سـان ماركو وامتـدت الأيادى لمصافحتــه وأصبح صعب عليــه أن يقضى يومه بعيدا عن الرسميات حتى جاءت سيارة أمن لتنقذه من وسـط حشـود محبيه من الإيطاليين. لتحية أعظم رئيس فى تاريخ الجمهورية الإيطاليــة. تذكرت هذه الواقعة الجميلة يــا دكتور صوفى. للرئيس الراحل سـاندرو برتينى لما قدمه من مثــل يحتذى به كل الأجيال من التواضع والبســاطة فى حياته اليومية.

طــب إيه رأيك يا عمدة تسـيب عربيتك هنــا ويلله بينا نركب الأتوبيس نتفسح سوا بحريتنا بدون عربية انت ناسى إنى كنت رئيس جمهورية مصر. وتحقق حلم الدكتور صوفى وركبنا سـويا أتوبيس المدينة والتقط صـور تذكارية له وهو جالس داخل الأتوبيس والابتسامة الجميلة على وجهه؟

خليك شاهد على التاريخ يا عمدة !!!

لم أر فى حياتى تصفيق لشخصية مصرية مثل الدكتور صوفى أبو طالب بين طلاب كلية الحقوق بجامعة فلورنسا ووقف الجميع يصفقون له بعد أن انتهى من إلقائه آخر محاضرة له بكلية الحقوق جامعة فلورنسا بعد أن قضى شهرا كاملا بينهم يلقى محاضراته لتصحيح صورة الإسلام لدى الغرب فكان التصفيق المستمر النابع من القلب لهؤلاء الشباب واهتمامهم البالغ لكل كلمة صادقة لعالم من علماء القانون المصرى وكنت أخشى عليه فى هذا اليوم نظرا لإلقائه محاضرتين فى ذلك اليوم وانهيار صحته وارتفاع السكر فى الدم وانطلقت الأيادى بالتصفيق المستمر لعلم من أعلام مصر المشرفة بلا انقطاع من شباب الجامعة الإيطالية وهم يقتربون منه لينالهم الشرف العظيم لمصافحته وهم يقولون له. لنا الشرف العظيم أن نسمع كل الحقائق عن الإسلام على لسان شخصية بارزة لها قيمتها التاريخية والأدبية فى مصر. وأخرج الدكتور صوفى المنديل من جيبه يجفف دموعه التى

تساقطت تلقائية من على وجنتيه لهذا التقدير. بعدها قال لى يلا بينا يا عمدة أنا تعبت مش قادر أقف على رجلى وخرجنا سويا وفى الطريق قال لى: شوفت يا عمدة بنفسك وبعينك وسجل للتاريخ كشاهد على كل ما أنجزته بين شباب الجامعات الإيطالية من أجل مصر. كان يحدثنى وأنا فى دوامة من التفكير وتعودت على رؤيته كل يوم ولم أتركه لحظة واحدة حتى بعد منتصف الليل على مدى شهر كامل وسيترك فراغ كبير فى حياتى. شعرت بيديه وهى تضغط على يدى ينبهنى بأنه يشعر بدوخة وطلب منى أن يجلس للراحة ليستعيد أنفاسه ونظرت إلى عينيه وهى تتأرجح شعرت بالخوف عليه وبوادر ارتفاع السكر فى الدم ظهرت عليه وطلب عصير التفاح المشروب المحبب له ومكثنا فترة لا بأس بها للراحة بعدها وصلنا بسلام إلى استراحته. وطلب منى أن أحجز له فى إحدى المطاعم الشهيرة فى فلورنسا هذه الليلة ليقيم مأدبة عشاء على شرفه قبل سفره واستضافة رئيس جامعة فلورنسا وعميد كلية الحقوق وأسرتى فى إحدى المطاعم الراقية بالمدينة. وتركته للراحة على أن نكون

على اتصال بتأكيد الحجز فى المطعم لعشرة أفراد ... وفى تمام الساعة السابعة مساء اتصلت بالدكتور صوفى وتبليغه بموعد الحجز ويكون جاهز ومعه الضيوف لنتحرك سويا إلى المطعم كل أسرة بسيارتها وبالفعل وصلت لاستراحة الدكتور صوفى ومعه الضيوف وركب بجوارى الدكتور صوفى والسيدة حرمه فى الخلف بجوار زوجتى وابنتى فى سيارة أخرى. أثناء الطريق أخرج الدكتور صوفى ورقتين فئة الخمسمائة يورو ثمن للعشاء وطلبت منهم أن يحتفظ بها لحين الدفع وأمر ووضع المبلغ فى جيبى ودخلنا جميعا المطعم مكان غاية فى الجمال وطاولة دائرية كبيرة مخصصة لنا وتم تجهيزها بكل مالذ وطاب فواتح شهية من أكلات فواكه البحر والأسماك وهمست ابنتى فى أذنى وقالت لى الذى يجلس فى مواجهتنا رئيس جامعة فلورنسا ودار حوار تعارف بيننا وكانت أصغرنا ابنتى ياسمين وحاول أن يسألها رئيس الجامعة وقال لها فى كلية فقالت له علوم سياسية فقال لها هل تعرفينى فقالت له لا قال لها أنا رئيس الجامعة وإذا احتجتينى إلى أى شىء عشان خاطر الدكتور

صوفى. فكان رد ابنتى كالصاعقة له وقالت ألف شكر ولا أريد أى شىء وواجبى الدراسى على ما يرام ولا أحتاج إلى أى مساعدة من أحد، لحظات كانت فى قمة الروعة والجمال لرد ابنتى وهى واثقة من نفسها ونظرت إلى الدكتور صوفى ووجهه يشع بالفرحة من عينه وابتسم رئيس الجامعة وهو يقول لها كمبلمينت وانتهت السهرة اللى استمرت ساعتين ونصف وتم مصافحة الجميع وركب معى الدكتور صوفى وزوجته وزوجتى وابنتى خلفنا بسيارة أخرى وفى الطريق قال لى الدكتور صوفى ياسمين بنتك رفعت رأسى إلى فوق ورأس مصر كلها بهذا الرد فكم كانت فرحتى بها. قلت لهم المهم يا دكتور انبسطت بمأدبة العشاء وأخرجت له باقى الحساب وأنا أرد باقى الألف يورو لأعطيه الباقى ورقة من فئة خمسمائة يورو وورقة فئة مائتين يورو وورقة فئة المائة يورو وهو يقول لى إيه ده إيه ده يا عمدة أنا مفكر إنى أدفع أكتر من كدة على الأكل اللى احنا كلناه. لم يصدق الدكتور صوفى تكاليف هذا العشاء الفاخر من الأسماك الطازجة والفواكه وغيرها من المشروبات فى أرقى المطاعم فى مدينة

فلورنســا المتخصصة فى المأكولات البحريــة لأننى أخطرت صاحبــة المحل صديقتى فى البدايــة بالتليفون إنهم ضيوفى وأنا اللى هقوم بدفع الحســاب ووصلنا إلى الاســتراحة التى يقيم بها الدكتور صوفى وهو لايزال يتحدث مع زوجته وهو يقول لها شــوفتى العمدة يا وافية هانم عمــل إيه ترد عليه وتقوله آه مش العمدة حبايبه كتير وشــاطر اللهم صلى على النبــى ربنا يخلى لينا العمدة ولازم لما تيجى مصر تزورنا إن شاء الله وتركتهم على موعد فى الصباح المبكر لوداعه عائدا إلى أرض الوطن. وفى الصباح كان فى انتظارى وظهر على وجهه النشاط والحيوية والابتســامة الهادئة. وقال لى أنا جاهز يا عمدة أدى الشــيال كام بقشــيش يا عمدة؟ قلت له اديله مائة جنيه بقشــيش يا دكتور. ترد الســيدة حرمه لا يا صوفى ده كتير عليه مائة جنيه. يرد الدكتور صوفى كلام العمدة لازم يتنفذ (يا وافية هانم) وانطلقنا بعدها إلى محطة القطار الدولى بمدينة فلورنســا وجاءت لحظات الفراق واحتضنت الدكتور صوفى وأنا أضع على عينى النظارة الشمسية لكى أدارى عينى من لحظة فراق صديق عزيز قضيت أحلى وأجمل أيام حياتى

معه يحكي كثيرا من الأسـرار منها للنشر ومنها أحتفظ بها للتاريـخ لأوانها كما طلب منى أن أحتفظ بهـا منها أربعة ساعات تسجيل فيديو وتسـجيل صوتى لأجمل ذكرياته فى الشـارع الغربى. وتنبهت بالإذاعة الداخلية بتحرك القطار فـى طريقه إلى العاصمـة الإيطالية روما. وقـال لى الدكتور صوفى. حتوحشنى كتير قوى قوى يا عمدة. والتزمت الصمت وبدأ القطار يتحرك رويدا رويدا وأنا أسجل له لقطات سريعة وهو يلوح بيده مـن نافذة القطار على أمل بلقائه فى القريب العاجل بقرية أبو طالب بمحافظة الفيوم..

***

رحيل ابن العمدة !!!

رحل العالم الجليل وشيخ فقهاء القانون الدولى الراحل الدكتور صوفى أبو طالب ابن عمدة قرية أبو طالب مركز طامية التابعة لمحافظ الفيوم. فتربطنى بفقيد مصر والعالم العربى والإسلامى علاقة متميزة وذكريات لا تنسى لذلك حزنى عليه كان شديدا وقد تسابق الأصدقاء المقربون منه بإبلاغى بخبر وفاته المفاجئ لمعرفتهم بمدى علاقة الصداقة التى كانت تربطنى به طوال رحلته فى إيطاليا من أجل رسالته لتصحيح صورة الإسلام لدى الغرب. لقد رحل ابن مصر البار بعد رحلة من العطاء عن عمر يناهز ٨٣ عاما فى مطار كوالالمبور خلال مشاركته فى الملتقى العالمى لجامعة الأزهر التى استضافته ماليزيا وقد وافته المنية أثناء أدائه صلاة الفجر قبل إقلاع الطائرة المتجهة إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة العمرة بعدها يعود إلى مصر. ولكن قدره. ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾. (لقمان: ٣٤) رحل وهو فى قمة لياقته الذهنية والجسدية والتواضع. فهذا

درس لكل الأجيال لكى تعرف من هو الدكتور صوفى أبو طالب، عطاء بلا حدود من أجل مصر، فهو ابن فلاح من صغار الملاك تعلم فى المدارس الحكومية بالقرية وأكمل تعليمه فى كلية الحقوق جامعة القاهرة ودخلت قرية أبو طالب بالفيوم التاريخ بعد انتخاب ابنها البار صوفى أبو طالب رئيسا لمجلس الشعب ومارس عمله السياسى بحكمة واقتدار وبأستاذيته التى أصبحت مثلا أعلى يحتذى به كل تلاميذه الذين تعلموا على يديه القيم والأخلاق والمبادئ الحميدة. وعندما يذكر التاريخ أسماء رؤساء مصر بعد الثورة فلا يتغافل عن ذكر اسم الدكتور صوفى أبو طالب الذى رأس مصر لمدة ثمانية أيام وسيذكر التاريخ أن رؤساء مصر بعد الثورة هم الرئيس الراحل محمد نجيب والرئيس الراحل جمال عبد الناصر والرئيس الراحل أنور السادات والرئيس الراحل الدكتور صوفى أبو طالب، فقد نفذ الدكتور صوفى أبو طالب نصوص الدستور المصرى فى نقل السلطة إلى الرئيس الجديد حسنى مبارك فى هدوء وبأسلوب ديمقراطى رغم العواصف المتقلبة بعد أحداث اغتيال الرئيس الراحل أنور

السادات أثناء العرض العسكرى بالاحتفال بعيد النصر فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م. وسوف يذكر التاريخ البرلمانى للدكتور صوفى أبوطالب أنه المهندس السياسى الأول الذى حول مبادئ الشريعة الإسلامية إلى مشروعات قوانين وافق عليها علماء وخبراء من المسلمين والمسيحيين. وعندما استوى عوده البرلمانى والسياسى اعتزل الحياة السياسية وعاد يمارس عمله الأصلى أستاذا للقانون بجامعة القاهرة وفضل الابتعاد عن الساحة السياسية. فقد كان مؤمن بأن لكل زمن له رجاله وأحس بأنه قد أدى دوره السياسى بقدر المستطاع. رحم الله الدكتور صوفى أبوطالب الذى شاء قدره أن تصعد روحه إلى بارئها وهو يجدد الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية لإنقاذ العالم الإسلامى من المصائب التى يواجهها كل يوم على أيدى خوارج العصر الجاهلى وشيوخ الفتن...

***

مفهوم الخلط بين الجهاد والقتال لدى الغرب

(لأول مرة تنشر ترجمة محاضرة المرحوم العالم الجليل الأستاذ الدكتور صوفى أبو طالب بكلية الحقوق جامعة فلورنسا مايو ٢٠٠٧م) إن مصطلح الجهاد من المصطلحات التى عدت عليه العاديات وجارت عليه النائبات فأخرجته عن معناه الإسلامى الأصيل وأبعدته عن كونه من خصائص منهج الإسلام إلى معان أبعدت النجعة عن فحواه وحسرت عن مدلوله مثلما حدث فى غيره لكثير من مفاهيم الإسلام الأمر الذى أوجب العناية بمصطلح الجهاد واستجلاء معانيه اللغوية ودلالته الشرعية غير أنه قبل الحديث عن تصحيح هذا المفهوم يتعين تقرير القواعد الآتية:

أولا: أن السلم هو الأصل فى البناء الفكرى والسلوكى للمسلم.

وتلك حقيقة يعززها الاستقراء العام للشريعة فى مقاصدها الكلية وأحكامها الجزئية التى تقرر أن السلام جزء من

التركيب العقلي والنفسي للمسلم بل هو جزء من خلقه الذي لقنه إياه الإسلام، فكلمة الإسلام ذاتها مشتقة من نفس الجذر الذي اشتقت منه كلمات السلم والسلام والسلامة، فالسلام من أسماء الله الحسنى... ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ الحشر آية ٢٣ ... وسميت الجنة بدار السلام ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الأنعام آية ١٢٧ والسلام تحيته سبحانه لجميع رسله ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الصافات آية ١٨١ والسلام تحية الملائكة لأهل الجنة ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الرعد آية ٢٤/٢٣ والسلام تحية عباده الصالحين في الجنة ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ ﴾ يونس آية ١٠ والسلام تحية المؤمنين لنبيهم عليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب ٥٦ والسلام تحية المؤمنين بعضهم لبعض ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ النور آية ٦١ وهكذا بين الله سبحانه وتعالى في هدايته وجعله تحية لأصفياء خلقه

وشعارا لعباده المعترفين بفضله المؤمنين بحكمته وقد تجسد ذلك فى صورة التوجيهات العملية التى ساقها النبى ﷺ لأمته منها قوله ﷺ (إن الله تعالى جمع السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا) البيهقى ٣٢١ وعن عبدالله بن عمران رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه أى الإسلام خير قال (تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) البخارى ٢٤٨٥ وفى صحيح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) سنن أبى داوود ٥١٩٣.

وهكذا تجتمع نصوص عديدة فى الكتاب والسنة تسعى كلها إلى تكريس قيمة السلام فى مجتمع المسلمين حتى لا يكاد المسلم يلهج بالكلمة طيلة النهار فى اللقاء والدخول والخروج على من عرف ومن لم يعرف.

ثانيا: السلام أساس التعايش مع المجتمع الإنسانى

لقد تبدت عالمية الإسلام فى قدرته على التعايش مع كل

الجماعات البشرية غير المحاربة من نصارى ويهود، ملوك وفقراء، سود وبيض على مر الدهور والأيام بما شهد له العدو قبل الصديق وفق الموجهات التالية: -الاعتراف بأن الاختلاف بين بنى البشر فى الدين واقع بمشيئة الله تعالى فقد منح الله البشر الحرية والاختيار فى أن يفعل ويدع وأن يؤمن أو يكفر ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف آية ٢٩.

الإيمان بوحدة الأصل الإنسانى: والكرامة الآدمية انطلاقا من قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء آية ٧٠. والرابطة الإنسانية بينهم قائمة شاءوا أم أبوا وهذه الرابطة تترتب عليها واجبات شرعية يتعين رعايتها والوفاء بها.

التعارف: لقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات آية ١٣ وكما ورد فى الحديث (وأشهد أن العباد - كلهم - إخوة) سنن أبى داوود ٨٣/٢، فالتعارف أساس

دعا إليه القرآن وضرورة أملتها ظروف المشاركة فى الدار أو الوطن بالتعبير العصرى وإعمال لروح الأخوة الإنسانية بدلا من إهمالها أو التنكر لها.

التعايش: إذ إن حياة المتشاركين لا تقوم بغير تعايش سمح بيعا وشراءً قضاءً واقتضاء وظعنا وإقامة، وتاريخ المسلمين حافل بصور التعامل الراقى مع غير المسلمين، وقد حدد الله سبحانه وتعالى أساس هذا التعايش بقوله ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة آية ٨. فغير المسلم إذا لم يبدأ بحرب ولم يظاهر على إخراج فما من سبيل معه غير التعايش الجميل الملتزم بالبر وهو جماع حسن الخلق والقسط هو العدل والفضل والإحسان وفى القسط على العدل زيادة معنى وفضل مراد.

التعاون: كثير من القضايا العامة تشكل قاسما مشترك بين المسلمين وغيرهم ويمكن التعاون فيها كما أن الأخطار التى تهددهم معا ليست قليلة ويمكن أن تشكل هذه القواسم المشتركة منطلقا للتعايش والتعاون وأهم هذه القواسم

المشتركة ما يلي: –

الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والأخلاق الأساسية كالعدل والحرية والمساواة.

مناصرة المستضعفين في الأرض ومحاربة الظلم والطغيان.

الاستخدام الأمثل لموارد البيئة وحسن التعامل معها.

تبادل المنافع ورعاية المصالح والسعي لقيام شراكة إنسانية صحيحة ومعافاة لتحقيق الأمن والسلم الدوليين.

ثالثاً: آفاق رحبة لمدلول الجهاد:

إنه لمن الإجحاف البين حصر معاني الجهاد ومضامينها في مباشرة القتال والقتل وامتشاق الحسام في وجه الخصوم، فمفهوم الجهاد أوسع مدى وأكثر رحابة. والمتأمل في الدلالة اللغوية والشرعية للجهاد في سبيل الله لابد وأن ينتهي إلى أنه يشمل معاني عديدة متنوعة.

المعنى اللغوي: الجهاد مصدر جاهد من الجهد والجهد وقيل الجهد: المشقة: والجهد: الطاقة تقول: أجهد جهدك، وقال الليث الجهد: ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق

فهو مجهود وقال ابن الأثير بالفتح: المشقة وبالضم: الوسع والطاقة وقال الأزهري: الجهد: بلوغك غاية الأمر الذى لا تألو على الجهد فيه

وقال ابن عرفة: الجهد بالضم: الوسع والطاقة والجهد بالفتح المبالغة والغاية والاجتهاد والتجاهد بدل الوسع والمجهود وحقيقة الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع فى المدافعة باليد أو اللسان أو ما أطاق من شىء بينما القتال مشتق من القتل.

كل مسلم مجاهد: وعلى ذلك فإن كل مسلم يجب أن يكون مجاهدا وليس بالضرورة مقاتلا، إذ أن مجاهدة النفس والشيطان ومجاهدة المنكرات ومجاهدة المشركين بالقلم واللسان والمال والسنان لا يتصور ألا يكون للمسلم فيها نصيب بخلاف القتال الذى لا يتأتى إلا عندما تتهيأ أسبابه.

المعنى الاصطلاحي: المستقصى لدلالة الجهاد الشرعية يجد أنها لصورة متعددة وصنوف متنوعة من بذل الجهد فى سبيل نصرة الإسلام وليست مقصورة على صورة القتال، فقد يكون جهادا بالحجة والبيان، فعندما بعث الله نبيه بالقرآن الكريم

كان التوجيه الإلهي: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان آية ٥٢. أى جاهد المشركين بهذا القرآن. وجهادا للنفس ففى الحديث (المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله) أحمد فى المسند ٢١/٦. وصدعا بكلمة الحق ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر "رواه أبو داوود ٤٣٤٤ والترمذى ٢١٧٤ وقد يكون جهادا بالمال ومنه قوله ﷺ: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" رواه أبو داوود ٢٥٠٤.
وكذلك يكون رعاية للأبوين: فعن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذن فى الجهاد: فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، ففيهما فجاهد. وحج المرأة وعمرتها جهاد لا شوكة فيه كما صح بذلك الخبر.
الجهاد فى مأثور السلف: فقد عرف ابن عباس الجهاد بأنه: استفراغ الطاقة فيه، ولا أن يخاف فى الله لومة لائم. وجاء عن الحسن البصرى أنه قال: إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف وقال ابن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى: وقال ابن تيمية: الجهاد إما أن تكون بالقلب كالعزم

عليه أو بالدعوة إلى الإسلام وشرائعه أو بإقامة الحجة على المبطل أو ببيان الحق وإزالة الشبهة أو بالرأى والتدبير فيما فيه نفع المسلمين أو بالقتال بنفسه. وذكر ابن القيم مراتب الجهاد. جهاد النفس وهو أربع مراتب:

١-جهادها على تعلم أمور الدين

٢-وجهادها على العمل به بعد علمه

٣-وجهادها على الدعوة إليه ببصيرة، وتعليمه من لا يعلمه

٤-وجهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق.

جهاد الشيطان: وله مرتبتان: جهاده على دفع ما يلقى إلى العبد من الشبهات، وجهاده على دفع ما يلقى إليه من الشهوات والإرادات الفاسدة.

جهاد الكفار والمنافقين: وله أربع مراتب: بالقلب. واللسان. والمال واليد.

جهاد أصحاب الظلم والعدوان: والبدع والمنكرات وله ثلاث مراتب: باليد إذا قدر المجاهد على ذلك فإن عجز انتقل إلى اللسان فإن عجز جاهد بالقلب فهذه ثلاث عشرة

مرتبة من الجهاد تبين على وجه التأكيد واليقين أن الجهاد ليس صورة واحدة أو حالة واحدة. انظر زاد المعاد باختصار ٣ وما بعدها.

من المفاهيم ذات العلاقة بمفهوم الجهاد: الحرب مفهوم الحرب في زماننا هذا أخذ أبعادا أكبر من نشوب قتال بين دولة وأخرى أو مجموعة وأخرى

فظهرت له مدلولات أخرى تمتد لتشمل:

الحرب الاقتصادية التي من أسلحتها المقاطعة الاقتصادية وتجميد الأرصدة ونحوه.

الحرب الإعلامية والتي من أسلحتها الإنترنت والفضائيات والصحافة ونحوها... من ضروب كحرب الدبلوماسية والحرب الباردة... إضافة إلى الحرب الاستباقية وغيرها.

الظهور والفتح: إن الظهور والفتح لا يعنيان خوض المعارك وإعمال السيف في العدو فقط كما قد يتبادر للأذهان، بل يمكن للمسلمين أن يفتحوا آفاقا وأقطارا فتحا سليما لا تراق فيه قطرة دم، فلا يشهرون سيفا ولا يطلقون طلقة ولا يعلنون حربا إنه (الفتح السلمي) الذي أصله الإسلام في

صلح (الحديبية) المعروف والذى عقد بين الرسول ﷺ وبين مشركى قريش لإقامة هدنة بين الطرفين يكف كل منهما يده عن الآخر فسمى القرآن ذلك (فتحا مبينا) ونزلت فى شأنه سورة الفتح وسأل بعض الصحابة الرسول الكريم أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال إى والذى نفس محمد بيده إنه لفتح إنه الفتح الحضارى الذى يدخل له الناس فى دين الله أفواجا، فتح القلوب بالهداية وفتح العقول بالفكر.

تعدد صور الجهاد فى واقعنا المعاصر: ونخلص من تعدد صور الجهاد السابقة التى أشارت إليها الدلالات اللغوية والشرعية إلى عدم انحصاره فى ميدان بعينه كما أن النظرة إلى الجهاد فى واقعنا المعاصر يجب أن تكون متجددة على ميادينه التى اتسعت بتطور الزمن، وتسارع إيقاع الحياة، وبالنظر أيضا إلى ما يقتضيه حال المسلمين اليوم من وعى حضارى بطبيعة المعارك المعاصرة ومن ثم فإن من أهم أشكال الجهاد المعاصرة:

الجهاد العلمى: فالعالم من حولنا يشهد كل يوم تطورات

علمية كبيرة بلغت حد اكتشاف خريطة الجنيات البشرية، وهو لا يقل فى أهميته عن غزو الفضاء وهبوط الإنسان على سطح القمر، وهنا نتساءل: أين المسلمون من ذلك كله؟ أليسوا مطالبين دينيا بالكشف عن آيات الله فى الكون وفى الإنسان؟ أين هم من هذا الربـاط العلمى الدائم الذى هو جهاد حقيقى فى سبيل الله؟

الجهـاد الحضـارى: ويقصد به بذل الجهد مـن أجل صياغة مشروع حضارى إسلامى معاصر يعبر عن رؤية شمولية لحاضر العالم الإسلامى نتطلع بها إلى استشراف مستقبله فى ضوء الشـهود الحضارى الرشيد بمتطلبات المرحلة وباحتياجاتها والتنبـه الدقيق إلى وجوب معالجة المشكلات والقضايا التى تطرحهـا طبيعة الحياة بالعقل الحصيف والتخطيط السـليم والعلم النافع والعمل المتقن.

الجهـاد الروحى: وذلك بإحياء الربانية الشـفيفة وتجسـد القدوة الصالحة التى يكون التأثير فيها بدلالة

الحـال أبلغ من دلالـة المقال، بتزكيـة النفوس، وصقل الأرواح، وتهذيـب الوجـدان والتحلـق فـى أفـاق الرقائق

والحقائق، وارتقاء في مدارج الإحسان.

الجهاد الإعلامي: من خلال تقديم المثل والقيم الإسلامية من خلال رؤية إعلامية ذات برامج هادفة وقوالب جاذبة، ومناهج رشيدة، في ضوء الحفاظ على الثوابت الشرعية، والخصوصية الحضارية، مع الانفتاح الواعي على منجزات الحضارة الواعدة وكسبها المعرفي المتجدد، لنصون أجيالنا من الاستلاب الوافد الذى طغى على الفطرة فأفسدها وجنح بها عن استقامة الدين وهدايته.

الجهاد الفكري: بإحياء التجديد والاجتهاد الجماعي المؤسس الذى يجمع بين فقهاء الشرع، وخبراء الواقع لتقدم حلولا ناجعة مرتبطة بالأصل ومتصلة بالعصر، خروجا بالأمة من حالة الجمود والتقليد والتفلت.

الجهاد التنموي: بذل الجهد من أجل تنمية مستدامة تفيد من تعدد الموارد الطبيعية، وتوفر الكفايات البشرية، والأرض الخصبة والموقع الجغرافي المتميز، لتحقيق الأمن الغذائي، والعدالة الاجتماعية والنهوض العلمي والتقني، وإزالة حالة الأمية، والتخلف، والجهل، والفقر، والمرض، فإذا استقلت

الأمة بحاجتها من التكامل الاقتصادي كان ذلك عونا لها على استقلال قرارها من الارتهان والتبعية.

الجهاد السياسي: للقيام بمقتضيات الحكم الرشيد القائم على الراضي والبيعة الحرة وبذل الشورى وإقرار العدل وكفالة الحقوق والحريات ورعاية ثوابت الأمة ومصالحها العليا وتعزيز الشراكة الشعبية والتزام المنهج السلمي قولا وممارسة وإحياء المصالحة الشاملة بين الأمة حكاما ومحكومين والوقوف في خندق واحد إزاء التحديات الماثلة.

رابعا: أسباب مشروعية القتال في الإسلام

القتال مشتق من القتل وهو معنى مخصوص من معاني الجهاد. أسباب القتال في الإسلام منحصرة في:

١-رد العدوان لقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ البقرة ١٩٠

٢-القتال لمنع الفتنة في الدين ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ الأنفال آية ٣٩.

الفتنة هي مصادرة حرية الناس واضطهادهم لأجل

عقيدتهم وإرغامهم على تغير دينهم كما حدث لأصحاب الأخدود، والقرآن يعتبر هذه الفتنة أكبر من القتل وأشد من القتل فمنع الفتنة مقصود أرفع من أن يكون مجرد هدف أرضي ومتبغى أسمى من أن يكون مجرد مطلوب بشرى بل عبادة وطاعة وتوجه لله وحده لا يقصد به سواه.

٣-القتال لنصرة المستضعفين في الأرض لقوله تعالى ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ النساء آية ٧٥.

خامسا: القتال في الإسلام استثناء وليس أصلا: والقتال بهذه النظرة السامية لا يمثل أصلا وإنما جاء كحركة تحرير للإرادة الإنسانية من كل ضروب العبودية لبنى البشر فقد حرم الإسلام القتال، لكونه مجرد إشباع للنزعات الذميمة والرغبات الدنيئة، وأبطل الإسلام حروب العصبية العنصرية، مقررا أن الناس كلهم من أصل واحد. وأبطل

حروب العصبية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ البقرة آية ٢٥٦. ومنع حروب التشفي والانتقام للإساءات الأدبية ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ ﴾ المائدة آية ٢. وأنكر حروب التخريب والتدمير - واستنكر حروب التنافس بين الأمم في مجال الاستطالة والعلو والاستكبار في الأرض ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ ﴾ النحل آية ٩٢. جاء الإسلام ليبطل كل هذا العدوان والعبث وليلغي كل هدف رخيص غير جدير بإراقة دماء هذا المخلوق المكرم.

أخلاقيات القتال في الإسلام:

إذا انعقدت الأسباب المشروعة لمطلوبات القتال فإن الإسلام أحاطه بقيمه النبيلة منها ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والأجراء والفلاحين والرهبان، والأحاديث في ذلك مستفيضة منها ما ورد عن ابن عمر أنه قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان) البخاري ٣٠١٥ وعن ابن

أبى رباح رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء فبعث رجلا فقال: انظر علام اجتمع هؤلاء فقال: على امرأة قتيل فقال: ما كانت هذه لتقاتل. قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد قال: فبعث رجلا فقال: قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيفا) رواه أبو داوود في سننه ٢٦٦٩. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشا قال: (انطلقوا باسم الله لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولا تغدو وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) رواه أبو داوود في سننه ٢٦١٤.

إشكاليات على طريق الفهم الصحيح للجهاد

آية السيف: حيث ذكر بعض أهل العلم أنها نسخت كل الآيات السابقة وجعلت السيف هو الفيصل بين المسلمين وغيرهم ويجاب على هذا بأن آية السيف لم يتفق عليها. فمن الناس من قال هي آية ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةً ﴾ (التوبة: ٣٦) وهذه ليس

فيها نسخ بل فيها دعوة للمعاملة بالمثل وقال آخرون هي آية: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ (التوبة: ٥) وهذه الآية نزلت في مشركي العرب الذين نكثوا العهود ولا دليل فيها على القتال من وفي بعده فقبل هذه الآية جاء قوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ (التوبة: ٤) وبعدها جاء قوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (التوبة: ٦) وقوله: ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ (التوبة: ٧) ومنهم من قال آية السيف: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩) فهؤلاء وقفوا ضد الدعوة، وصدوا الدعاة وتآمروا على المسلمين فحق قتالهم وليس فيها دليل على قتال من لم يقاتل المسلمين أو يصد عن سبيل الله من الكفار.

حديث (بعثت بالسيف): أحمد بلفظه ٩٢/٢

أما الحديث: بعثت بالسيف - بين يدى الساعة - حتى يعبد الله وحده فإنه ضعيف سندا ومتنا. أما من ناحية السند، فمداره على عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد اختلف الأئمة فى توثيقه، وتجريحه، والمجرمون له أكثر، وهم من أمثال الإمام أحمد الذى قال: أحاديثه مناكير، والإمام يحيى بن معين الذى ضعفه، والإمام النسائى وغيرهم. وحتى الذين وثقوه: لم يوثقوه بإطلاق. بل منهم من قال: ليس به بأس وإذا غضضنا الطرف عن السند، ونظرنا فى الحديث ومضمونه، وجدناه مخالفا مخالفة صريحة للقرآن، الذى لم يقرر فى آية واحدة من آياته بأن الله بعث محمدا بالسيف، بل أرسله بالهدى ودين الحق، وبالبينات والشفاء والرحمة للعالمين وللمؤمنين. وهذا ثابت بوضوح فى القرآن المكى وفى القرآن المدنى، على سواء يقول تعالى فى سورة الأنبياء وهى مكية ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧) ولو بعث الرسول بالسيف لظهر ذلك طوال ثلاثة عشر عاما، قضاها فى مكة، وأصحابه يأتون إليه بين

مضروب ومشجوج ومعتدى عليه يستأذنونه فى أن يدافعوا عن أنفسهم بالسلاح، فيقول لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة. حتى هاجروا إلى المدنية، فأذن الله لهم أن يدافعوا عن أنفسهم وحرماتهم ودعوتهم. والخلاصة أن هذا الحديث سواء نظرنا إلى إسناده أم نظرنا إلى متنه، فهو مرجوح فى ضوء موازين العلم وقواعده الضابطة.

حديث: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله)

فإن شراح الحديث أفادوا بأنه ليس المقصود هنا بالناس كل الناس وإنما هم جماعة من البشر وهو المعنى المستخدم فى بعض آيات القرآن كقوله ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ (آل عمران: ١٧٣)وهو سياق يستحيل فيه عمليا أن تستقبل كلمة الناس باعتبارها كل خلق الله وثمة اتفاق بين جميع المسلمين على أن المراد بالناس فى الحديث النبوى هم مشركو جزيرة العرب بوجه خاص لأن غيرهم من أهل الكتاب ومشركى غير العرب حكمهم يخالف ما جاء فى الحديث.

حديث: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو)

إذا كان المراد مجال التفكير الداخلى للإنسان، فإنه لابد لكل مسلم غيور أن يداعب خياله ذلك الحلم العظيم الذى يلهب المشاعر ويؤججها وهو أن يلقى ربه شهيدا مع النبيين والصديقين، غير أن الحديث لا يدين كل مسلم لا يقاتل فى سبيل الله الأمر الذى قد تشتم منه رائحة التحريض التى يحاول البعض اصطيادها من السياق، ولكنه يدين من لم يروداه خاطر الغزو حتى وإن لم يقاتل، الأول يتهم إيمانه لأنه تقاعس عن النداء، والثانى يتهم فى إيمانه لأنه بإسقاطه الأمر من وعيه كلية يبرهن أنه على غير استعداد للتضحية دفاعا عن عقيدته ولذلك لا يعد تحريضا ولا تهييجا ولكنه نوع من التربية السامية التى تغرس فى أعماق المسلم قيم الفداء والتضحية وبذل النفس والنفيس دفاعا عن دينه.

حديث الجنة تحت ظلال السيف:

فإن المقصود بالحديث هنا الحض على الآخرة وليس التحريض، يقول العسقلانى فى شرحه: أفاد الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاجتماع حتى الزحف حتى تصير

السيوف تظل المقاتلين كما أن الحديث لم يقل إن السيف طريق وحيد للجنة ولكنه أفاد الحض على الآخرة، ثم إن الحديث قيل في مناسبة التعبئة لمعركة ولعلها الأحزاب ومثله حديث (الجنة تحت أقدام الأمهات) في إطار الحض على برهن، وقد علم أن أبواب الجنة ثمانية، ومنها باب الريان للصائمين لدلالة سعة رحمة الله تعالى، وتنوع أبواب الطاعات والصالحات.

***

غزوات الرسول ﷺ

فغزوات الرسول وقائع تاريخية لا يمكن إنكارها غير أنه يجب فهمها فى سياقها الذى حدثت فيه فالمعارك التى وقعت داخل الجزيرة العربية لم يشعل نارها المسلمون بل كان مشركو مكة هم أول من أشعلها، وافتعل أزمتها، والمتسببين فيها عمليا من خلال الضغط على المستضعفين فى مكة بعد أن خلا لهم الجو، فوالت التنكيل عليهم، عندئذ بدأ الضعفاء من مسلمى مكة يستغيثون فى صرخات علية فنزل القرآن ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ النساء آية ٧٥.

أما المعارك التى كانت خارج الجزيرة العربية فإنها كانت لحماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين لا لأجل العدوان، فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التى دخلت فى حوزة الإسلام ويؤذون من يظفرون به من المسلمين، وكان الفرس أشد إيذاء للمؤمنين منهم

فغزوة تبوك سببها أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وزحفوا لملاقاة المسلمين. هذا من ناحية الروم، أما من ناحية الفرس، فقد تمنى سيدنا عمر أن لو بينه وبينهم واديا من نار يحجز بين الفريقين، وكان كلما عزم على الوقوف عند حد معين من الفتوحات اضطروا إليها بحكم الضرورات الحربية، ومن أظهر الأدلة على ذلك أنه مع توغل المسلمين شرقا وغربا في فتوحاتهم فإنهم لم يقتربوا من الحبشة وذلك لأن الحبشة كانت مسالمة للمسلمين ولم تشكل عليه خطرا، وفي هذا برهان قاطع على أن المسلمين لم يحاربوا إلا الطغيان والعدوان عندما كان يعترض مسيرتهم أو يهدد دعوتهم بالخطر.

الخلاصة: إن الجهاد موقف يستغرق المسلم الحق، والقتال في سبيل الله أحد صوره وإن تربع على القمة بكل جدارة، إذ ليس فوق أن يبذل المرء روحه في سبيل الله مقام كما أنه ليس ثمة تضحية أغلى من الشهادة حتى عد هذا النوع من الجهاد ذروة سنام الإسلام. إن كل قتال في سبيل الله جهاد، ولكن ليس كل جهاد في سبيل الله ينبغي أن يكون قتالا.

إن الجهـاد أنواع ودرجات ولكـن القتال نوع واحد، وصيغة واحدة، بأسـباب موضوعيـة وأخلاقيات مرعيـة. الجهاد بمعناه الشـامل فرض عين على كل مسـلم يجب أن يمارسه فى أى صورة يسـتطيعها. والقتال عند جمهور الفقهاء فرض كفاية إذا أداه بعض المسلمين سقط عن البعض الآخر. ويتعين فـى حالة النفير العـام، وإذا دهم العدو أرضـا، وإذا التحم الجيشـان.أخيرا: الجهاد بهذا المعنى متصل وماض إلى يوم القيامة والقتال عارض باسـتيفاء شـروطه، وينتقى بانتفاء موجباته.

***

الفهرس

طبع بمطابع دار المعارف

فى هذا الكتاب يحكى لنا الصحفى المقيم بفلورنسا أبو المعاطى أبو شارب بأسلوبه التلقائى الصحى والصحيح ما دار بينه وبين العالم الجليل الدكتور صوفى أبو طالب خلال فترة إقامة له امتدت شهرا فى مدينة فلورنسا الإيطالية مدعوا من جامعتها لكى يلقى سلسلة من المحاضرات حول تصحيح صورة الإسلام فى الغرب، اختتمها بمحاضرة أوردها المؤلف ملحقة بهذا الكتاب، بعد أن نسخها من المخطوطة التى تركها له صوفى أبو طالب.

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
6 222018 407167
٤٨٩٣٢/٠١